وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور –خنشلة-
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

العنوان:
رمزيات الماء وطقوس الارتواء في الشعر الجاهلي دراسة في نماذج مختارة

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:
- ✓ عماري أسماء
- ✓ عقون دليلة

إشراف الأستاذ:
د.آدامي خميسي

لجنة المناقشة:

الإسم و اللقب:	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
طبيش حنين	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس لغرور خنشلة	رئيسا
أدامي خميسي	أستاذ محاضر	جامعة عباس لغرور خنشلة	مشرفا
طاهير كمال	أستاذ محاضر	جامعة عباس لغرور خنشلة	مناقشا

السنة الجامعية:2023-2024

بسم الله الرحمن الرحيم

الـشكـر و الـعـرفـا ن

نتقدم بجزيل الشكر والامتنان والثناء العاطر
إلى أستاذنا ومشرفنا الدكتور "آدمي خميسي"
على ما وهبنا من سعة علم وجهد كبيرين،
وجميل صبره وكثير توجيهه، وعظيم نصائحه،
وعلى متابعته وإشرافه على هذا البحث وجزاه الله
خير الجزاء، والشكر المسبق إلى لجنة المناقشة
على ما ستقدمه لنا من توجيهات
التي سنأخذها بعين الإعتبار.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من قال في حقهما الرحمان ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الآية 24 {سورة الأسراء}**

إلى الشمعة التي تسير حياتي، إلى التي تشقى لتسعدني، إلى التي كل كلمات الحب والشكر لن توافيها حقها .

...أمي...

إلى أبي الغالي نور عيني وسندي ومرشدي، إلى المعطاء الذي مدّ يده في كل الأوقات، إلى الذي مهما فعلت لأجله لن أرد تعبه.

...أبي...

إلى صديقاتي ددو – فريولة - ميساء، أحبكم.

إلى إخوتي أسامة – ليث – أميرة - رحيل، أحبكم.

وفي الأخير لكم مني جميعا كل المحبة والتقدير والشكر والعرفان...

والله الموفق والمستعان.

أسماء عماري

إهداء

إلى البطل فراس الخطيب شفاه الله..

دليلة عقون

المقدمة

يعد الماء عنصرا حيويا في الحياة، بل هو الحياة نفسها، هو سر الوجود الأول منه خُلق الإنسان وكل الكائنات الحية، وإذا كان لا بد من أصل للأشياء، نرجع إليه، فأما طير العالم القديم تنتهي إلى أن الماء هو أصل نشأة الكون والأحياء . وقد تجلى الماء -وما زال- للإنسان بوصفه أحد العناصر التي عاينها في جميع أحوالها، صلبة أو غازية أو سائلة، وفي مختلف طعومها بين الملوحة والعذوبة، وفي مختلف طعومها بين الملوحة والعذوبة، ومصادرها المتنوعة ما بين محيط، وبحر، ونهر وبئر وعين وحتى الفلسفة اليونانية بمباحثها المختلفة قد استطاعت أن تردّ الكون إلى أصول خلق منها، هو الماء.

فلا تقوم حضارة إلا وكانت على ضفاف الأنهار والوديان والماء من أسباب تميزها وازدهارها واستمرت به. وكانت رحلة الإنسان الدائمة بحثا عن الماء الذي كان هوسه الأول لأنه سير البقاء والإستمرار، وفي رحلة بحثه هذه على راحلته صادفته عوائق ومشاق ومعارك مع الوحوش وقهر الطبيعة وقسوتها بين الجدب والقحط يصور لنا من خلال أشعاره كل هذه المشاق. بين الوقوف على الأطلال واستذكار الماء برمزياته المختلفة من مشاعر إلى آخر وصورة السيل ولمعان البرق وصوت الرعد...

و أن المطر وحده من يعمل التفاؤل، والبرق بارقة أمل تلوح في الأفق، والماء بكل ما يحمله من غموض و رموز و دلالات تجود أحيانا وتشح أخرى، أغرى الشعراء على مرّ العصور باعتماده رمزا لتوليد الصور الشعرية، فكثيرا ما بث الشعراء آلامهم وآمالهم ورغباتهم وأشواقهم في تلقي المطر، فأنشدوا الأراجيز عند طلبه، وميزوا بين ألوان السحب، وقدروا كثافتها و حمولتها، واستمدوا قوتهم من جلجلة الرعد.

ودفعت أهمية الماء في الحياة البشرية عامة والشعراء العرب خاصة منذ القدم وحتى يومنا هذا إلى استحضاره في شعرهم والإهتمام به بطرق مختلفة ورؤى أدبية وشعرية متعددة، مكنهم من جعله عنصرًا حيويا وموضوعاً شيقا في شعرهم.

فتناول الشعر العربي والجاهلي خاصة الماء في موضوعاته المختلفة ودلالاته العميقة ورمزياته المتنوعة، لأن الرمز يظل مصدر الدهشة مهما اختلفت صوره وتجلياته، ووسيلة فنية جمالية تجسد جمال النص الشعري، فيكون له صدى أو دلالة متفردة عند المتلقي أو القارئ.

والماء كرمز تعدّدت معانيه، وتنوعت دلالاته في النص الشعري الجاهلي خاصة، فله حضور رمزي كثيف.

في الياقات الشعرية التي احتوتها دواوين أكبر الشعراء، و لجمالية الماء ورمزيته في أشعار الجاهليين كان عنوان مذكرتنا، رمزيات المساء وطقوس الإرتواء في الشعر الجاهلي دراسة في نماذج مختارة.

أما الأسباب الموضوعية التي دفعتنا لاختيار الموضوع هي الخوض في تجربة الرمز - الماء. ودلالاته، وقد انطلقنا من مبدأ أن الإنسان دائم البحث والتأويل والتفسير فأكثر ما يثيره هو الغامض المستتر.

ولعل سبب اختيارنا الذاتي لرمزية الماء - خصوصا - هو الرغبة الذاتية الداخلية في تفسير رمزيات الماء ودلالاته، فتزداد هذه الرغبة أكثر كلما تأملنا الماء وما يحدثه من تغيرات في حياتنا، يكفي أنه يستر الوجود وقد جعل الله منه كل شيء حيّ .

وهذه الرغبة دفعتنا إلى طرح عدة تساؤلات للوصول إلى الهدف المرجو من هذا البحث وهو تفسير حضور الماء في أدبيات وفنون وأساطير الأديان القديمة و في الشعر العربي

خاصة وقد وقع الإختيار على بعض من الشعراء الجاهلين، وأهم تلك التساؤلات :

- ماذا مثل الماء في الأساطير القديمة؟

- وكيف تجلى في أساطيرهم المختلفة ؟ . عند جميع الأديان؟

- وكيف أثر في ثقافاتهم وفنونهم وأدبهم؟

- كيف فهم الشعر العربي القديم فكرة الماء ؟

- هل اكتفى بتعامله معها تعاملاً نفعيا، أو تعدّى إلى الجمالي منه ؟

أم تعامل معها تعاملاً وجوديا رمزيا ؟

أما المنهج المتبع فهو المنهج التأويلي الذي يعتمد على القراءة النفسية والإجتماعية للصورة الشعرية في مختلف تجلياتها الرمزية.

كما اعتمدنا على خطة بحث شملت فصلين:

حيث يحتوي الفصل الأول الموسوم بـ : ذاكرة الماء حضارات وأساطير ونصوص.

تناولنا فيه عدة مباحث هي :

1- الماء والأساطير/ علل الكون وأسرار الإنبثاق.

2- الماء في أدبيات الأديان.

أ. في أدبيات الإسلام .

ب. في أدبيات المسيحيّة.

ج. في أدبيات اليهودية.

3- الماء في أدبيات الفن.

أما الفصل الثاني معنون بـ: الماء والرموز والدلالات وأشكال الحضور.

تناولنا فيه :

1-الماء رمزا للثورة والإنقلاب .

2- الماء رمز للتطهير والصراع .

وذيلنا البحث بخاتمة كانت خلاصة لأهم نقاطه.

وأخيرا نتقدم بخالص الشكر والعرفان لجامعة الشهيد عباس لغرور خنشلة، ولكلية الآداب واللغات، والشكر الخاص لقسم اللغة العربية و آدابها، وللجنة المناقشة والأستاذ المشرف الاستثناء لما قدمه لنا من مساعدة وتوجيه وصبر علينا، جزاه الله عنه كل الجزاء.

الفصل الأول

ذاكرة الماء

حضارات وأساطير

و نصوص

الفصل الأول: ذاكرة الماء حضارات وأساطير و نصوص

1- الماء والأساطير / علل الكون وأسرار الإنبثاق.

حظي الماء بمكانة مقدسة تبعا لأهميته منذ القدم وهو العنصر الأساسي و الرئيسي في تكوين الكون فقد تكونت السماوات من بخار والأرض من زبده "ارتبط الماء بالعقل الروحي والديني لكثير من معتقدات البشر ودياناتهم وأي باحث في مقارنة الأديان وعلم الأناسة سيدرك عند تتبعه للنصوص الدينية الموقع المتميز لحيز الماء لها، فلا تكاد تخلو عقيدة دينية من فكرة تقديس الماء" [1]

بمعنى أن الإنسان قديماً ربط الماء بالمعتقدات والديانات وأي باحث سيدرك أن أهمية الماء مرتبطة بأهمية وجود الإنسان في الحياة حتى نسبو إليه كل ما هو جميل وله مكانة وقيمة كبيرة في الحياة.

كما ارتبط الماء بالحضارات القديمة ففي الحضارات المصرية نجد "نهر النيل" وحضارة العرب قديما "بئر زمزم" هذا ما جعل قدسية الماء في الأديان "حتى عرف عن العرب قديما أنهم أبناء ماء السماء، لاعتمادهم على ماء المطر بشكل رئيسي في الشرب والزراعة".[2]

وفي موضع آخر نجد **عدوة بن الورد** يصور وفاءه لإخوانه، فحرصه على علاقته بهم كعلاقة الماء بشاربه الذي لا يستطيع أحدهما الاستغناء عن الآخر يقول:

"فلا أتركُ الإخوان ما عِشتُ للرّدَى كما أنهُ لا يترُكُ الماءَ شارِبُهُ"[3]

الإنسان العربي ينظر إلى الماء نظرة مقدسة، نظراً لعيشه في منطقة جغرافية جافة وهذا ماجعله يلجئ إلى الماء والأمطار والرعود والبرق والسحب...إلخ، قوى مقدسة، "ولعل قداسة العربي للماء لم تقف عنده كعنصر بل طالت حتى مكان تواجده، فهو عندهم بمثابة الحُمى الذي يحرم على الإنسان اقتحامه أو العبث به."[4]

"ومن طقوس الماء عند العرب نجد التطهر والإغتسال وهي عادة مستوحات من رؤيا قديمة عندهم"[5]

---

[1] عيسى عيساوي: طقوس الماء عند الأمم القديمة مقارنة إناسية، المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة، الجزائر، مجلة منتدى الأستاذ، ع15، (جانفي 2015) الصفحة 169.

[2] أسماء عبد الرحمان عبد الرحيم أحمد: أساطير حول الماء وأساطيله (دراسة مثيولوجية في الحكايات الشعبية)، العدد24، الجزء 11، 220م، الصفحة 11125.

[3] ديوان عروة بن الورد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، الصفحة 37.

[4] المصدر السابق، طقوس الماء عند الأمم القديمة، الصفحة 179

[5] المصدر السابق، أساطير حول الماء و أساطيله، الصفحة 184

في كثير من الثقافات القديمة ظهر الماء كمصدر للخلق، ونشأة الحياة كما ظهرت أساطير المحن أن الإغتسال أو شرب ماء نهر أو ينبوع ما يصنع الخلود وقد نجد المطر طقس من طقوس التطهر بينما يصور لنا **امرئ القيس** صورة أسطورية للمطر، فهو سيل جارف يهدم البيوت ويقتل السباع يقول:

"فأَضْحَى يَسُحُّ المَاءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ يَكُبُّ عَلَى الأذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

وتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَـةٍ وَلاَ أُطُمـاً إلاَّ مَشِيْداً بِجِنْـدَلِ

كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً مِنَ السَّيْلِ وَالأَغْثَاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ"[1]

نُسبت حوريات الماء إلى البحار وقد سُميت بعروس البحر، فهناك من صنفها إلى الحيوانات وآخرون من الأسماك، صور معظم الأساطير حورية البحر بإمرأة فاتنة الجمال تتفنن في إغراء الرجال وجذبهم وهناك من جعل عرائس البحر آلهة خزينة قررت الإنتحار ألقين بأنفسهن إلى أعماق البحر وهلكن أسفاً على هروب **"يوريديس"** وانتحار **"أورفيوس"** وكلها مخلوقات سواء كانت خرافية أو أسطورية فإنها ترمز إلى تلك القوى الخفية.

وقد اقترن المطر بعدة مواضيع كارتباطه بالمرأة أو الناقة، المطر بالفرس، المطر والحمار الوحشي.

فعندما يرتبط المطر بالمرأة مع هطول المطر تبدأ مشاعر الشاعر بالظهور وذلك للقاء الحبيبين "تحضر في الشعر الجاهلي بصور كثيرة بين الثغر و العذب وفكرة المطر، يتحول معها ثغر الحبيبة الباسم إلى نبع للخير المطلق ومصدر لماء الحياة، نحسن من خلاله أن الشاعر الجاهلي لم يكن يتغزل وإنما كان يعبر عن رغبته في استقبال المطر".[2]

يقول **عنترة بن شداد**:

"أو روضة أنفا تضمن نبتها غيثٌ قليل الدّمن ليس بمَعلم

جـــادت عليه كلّ بـــكر حرّة فـــــتركـــن كـلّ قرَارة كـالدّرهم

سـحّا وتسكابا فـــكل عشيّة يجري عليها الماء لم يتصرّم"[3]

طرفة بن العبد يقول:

"وَإنّا إذا ما الغَيمُ أَمسى كَأَنَّهُ سَماحيقُ ثَربٍ وَهيَ حَمراءَ حَرجَفُ

[1] امرؤ القيس، الديوان، القسم الأول، رواية الأصمعي من نسخة الأعلم، (ط-ذ) ، (د-ت) ص 24-25.
[2] د.أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، رفع عبد الرحمان النجدي، ط1، دار عمار للنشر و التوزيع، 1987، الصفحة 179.
[3] ديوان عنترة، شرح التبريزي، الصفحة 157.

وَجاءَت بِصُرّادٍ كَأَنَّ صَقيعَهُ خِلالَ البُيوتِ وَالمَنازِلِ كُرسُفُ

وَجاءَ قَريعُ الشَولِ يَرقُصُ قَبلَها إلى الدِفءِ وَالراعي لَها مُتَحَرِّفُ

تَبيتُ إماءُ الحَيِّ تَطهي قُدورَنا وَيَأوي إِلَينا الأَشعَثُ المُتَجَرِّفُ"[1]

2-الماء في أدبيات الأديان:

إن هذا العنصر في الطبيعة قد شكل أهمية كبيرة لا يمكن الإستغناء عنه في حياة جميع الكائنات الحية، فبجانب هذه الأهمية والمكانة الكبيرة التي احتلها من الجانب العلمي، احتل أيضا أهمية كبيرة في العقلية الدينية والروحية لكثير من أديان ومعتقدات الإنسان قديما وحديثا لا تقل عن أهميته العلمية، وهذا يظهر لنا واضحا وجلياً عندما نتبع النصوص الدينية فقط، بغض النظر عن الممارسات الفعلية و الطقوس المصاحبة لهدا العنصر (**الماء**). فلا تكاد تخلو عقيدة دينية إلا وكانت تقدس هذا العنصر بطريقة معينة سواء فكراً أو طقساً، وهدا يرجع إلى ما للماء من أهمية كزنية، وما له من ارتباط وثيق بحياة الإنسان سواء كان شعبا أم فرداً.

2-1: الماء في أدبيات اليهودية:

أما في اليهودية فلا تختلف عن الديانة المسيحية في تقديسها لعنصر (الماء) ومعتقداتها، فالماء

عندها مقدس تقديسا كما في مراسيمها الدينية، وفي فكرها أيضا (روح الله يرف على وجه المياه) ومن فرائضها تستخدم الماء في طقوس التنظيف وتبرئة الذات من الذنوب وفي التعميد أحيانا، و بطريقة لا تختلف عن الأخرى، غسل أياديهم قبل وجبة طعام وعن طريق تقليب الماء بين الكفين اليسار ثم اليمين على أساس التبرك.

كما نجد بأن الماء مقدس في جميع الأديان والشرائع، كما وجدناه مذكور في القرآن الكريم في كل موضع لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ولا يخلو أي مسجد من مصدر للمياه النظيفة يستخدمه المسلمون للوضوء قبل الصلاة خمس مرات في اليوم.

وبالتالي فإن الماء رمزيا للنظافة والطهارة وغسل الذنوب عند البشر، فقد خلق سبحانه وتعالى الإنسان من ماء وتراب، "وكانت أغلبية المجتمعات تعيش بالقرب من المياه كي يضمنوا مشربهم

الترميذا علاء النمشي، أسطورة الماء في الأديان، فكرا وطقسا -https://www.mandaeanunion.org/ar/history/item/268 legend-of-the-water-in-the-religion,-thought-and-ritual 26-10-2024.

[1] أنور أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، ص43.

المرجع نفسه، ص43.

ومأكلهم، بالإضافة إلى القيام بعمليات التطهير وطقوس العمادة والغسل والوضوء، وتختلف بإختلاف الممارسات والطقوس المتعلقة بالماء وقداسته".

-فنجد في طقوس الإرتواء أو الإستمطار تلك الحُمَيّا التي تنتاب الشاعر وهو يرقب هذا الحدث الكوني العظيم ويكون في دهشة وحيرة مما هو عليه ويطرح في ذهنه عدة تساؤلات تجعله يصل بها إلى حد عميق، خاصة عنصر الماء الذي أشغل باله، فعند نزول المطر يتتبع سقوطه، والأماكن التي سالت بها رحمته، وكأنما كان نزول المطر نتيجة لترقبه وتأملاته ورسمه في الخيال كما يعطيه صوراً مختلفة ، "وقد استخدم العرب دون غيرهم من الأمم، النار طقس سحريا لا نزال المطر، وسموها (نار الإستمطار) ولهم فيها أساطير وحكايات وأشعار، وقد أوهمنا الشعراء بهذا الطقس السحري، فأشعلوا النار في السحب المتراكمة على هيئة برق يلمع" وهذا يدل على أن الفكر العربي القديم اتبع عدة خطوات تختص بالمطر، فإن هذا العنصر لا يخلوا عن مواضعهم الشعرية أم النثرية كانت لوصولهم إلى نقطة البداية.

كما أن المطر يشكل هطول مشابهم لردة فعل، فأحيانا يهطل رحيما رفيقا وأحيانا ينهمر قويا عاتيا ويحول الأرض تجعل كل عامرٍ دامر

-ومن الطقوس الأخرى ومعتقدهم أنهم كانوا يعتمدون على ظاهرة السحر لنزول المطر، محاولاً جهده للسيطرة على تجارب ومعارف مختلفة بابتهالات وتوسلات يفككون بها رمزا غامضا يتحكمون في المطر بوساطة السحر. "وكان العُبّاد يتوسلون إلى الآلهة القديمة من أجل المطر، لكن الإنسان القديم كان ينظر إلى المطر من حيث هو قوة كونية يمكن أن تستدعى دونما وساطة الآلهة بالجهد الإنساني المحض، وبالسحر والتعاويذ والطّلسمات والتنبؤ"

فكما كان الفكر العربي يشغل ذهنه ويحلل العمليات الذهنية في السحر وجعل منه اتخاده كوسيلة لمعرفة ما وراء الرمز الغير الواضح.

فقد اتبعوا هذه الممارسات السحرية طوال حياتهم وبقوا على طقوس واحدة غير أنها تتجدد في كل مرة حتى عمَّت الفكرة في كل مكان وزمان استخداما لجلب المطر، وكما كانوا يقلدون البرق والرعد في تعويذتهم، وتمثيل السحب وسقوط المطر.

2-2: الماء في أدبيات المسيحية:

كما نجد في المسيحية أهمية عظيمة لعنصر (الماء) حتى أنه مقدسة عندهم في إقامة مراسيم التعميد ولا يعوض بمادة أخرى، تقول أساطير المسيحية أن المسيح عيسى عليه السلام تم تعميده بالماء الجاري (نهر الأردن) على يد النبي يحيى يوحنّا عليه السلام، فكان لهذا التعميد أثره الخاص والمهم بـلاهوت المسيح والكنيسة من بعده، فيدخل في عملية التعميد الكنسي وصلوات القربان المقدس عند المسيحيين كرمز للتطهير من الذنوب مع بركة خاصة حسب معتقداتهم.

2-3: الماء في أدبيات الإسلام:

اختلفت الثقافات والأدبيات الإنسانية عبر الزمن، حيث أدى هذا الإختلاف إلى ظهور آراء من قبل علماء وباحثين ومجتهدين حول عنصر (**الماء**) ، و أوردوا في تأليفهم وتصانيفهم كل ما جاء في من آيات قرآنية و أحاديث نبوية شريفة ونصوص قانونية شرعية، لقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ [1]

ولجلالة الماء وسموه أن اقتضت الحكمة العلية أن يكون (**العرش**) على الماء، لقوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[2]

ومن احتفاء أدب القرآن بالماء، أن (**الجنات**) التي وعد بها المتقون، تجري من تحتها الأنهار، لقوله تعالى: ﴿ **لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ [3] وهو القائل : ﴿ **إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ** ﴾[4] ولن تكتمل الصورة البهية للجنة في القرآن إلا أن تكون مزهوة بالعيون والأنهار والوديان...إلخ.

[1] سورة الأنبياء، الآية 30.
[2] سورة هود، الآية 07.
[3] سورة الفتح، الآية 05.
[4] سورة الحجر، الآية 45.

وتعجب أن تكون العربية التي شرفها الله، فجعلها لغته، مخاطبا بها الناس كافة في قوله: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[1] وقد استعارت (**العين**) وهب عضو البصر، وهب أغلى ما يملكه

المرء، فأطلقته على الموضع الذي ينبثق منه الماء، ذلك أن الجامع بينهما النفاسة والقيمة الغالية.

كما أن هذا العنصر (**الماء**) مرتبط وله علاقة بعدة ظواهر، فعلاقته بالفُلك التي تجري في البحر هو وسيلة نجاة نوح عليه السلام من الطوفان، وماء البحر الذي يرد بصيغة اليَمّ، يكون وسيلة للتخلص من بشر أو إبعاده، لقوله تعالى: ﴿ **فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ**﴾[2] وماء البحر الفرات أو الأجاج مصدر رزق وصيد، وهو طعام، لقوله تعالى: ﴿**لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ**﴾[3] و ﴿**الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ**﴾[4] هو ضرورة الحياة ووسيلة إنعاش، أي إعادة الحياة.

3- الماء في أدبيات الفن:

يعتبر الماء عنصراً مقدسا في الفنون و الأساطير، و بسبب أهمية المياه وقدسيتها، حيث ظهرت الأنهار منذ الزمن القديم في الأساطير واللوحات الجدارية ودائما كانت تقام الحضارات وتبنى المدن بجوار الأنهار، ذلك ما يساعد أو يساهم في جعلها سببا في الزراعة وتوفر الماء والغذاء.

عذا ما جعل الأنهار بارزة وظاهرة في اللوحات على مدار تاريخ الفن، وكمثال على ذلك نجد الحضارات المصرية القديمة وإعطاء أهمية كبيرة لنهر النيل.[5]

[1] سورة يوسف، الآية 02.
[2] سورة القصص، الآية 07.
[3] سورة الكهف، الآية 79.
[4] سورة الواقعة، الآية 68.

نهر الأردن: هو نهر في **بلاد الشام** وهو أحد أهم الأنهار العربية المشتركة في منطقة الشرق الأوسط، يبلغ طوله حوالي 251 كم، وطول سهله حوالي 360 كم ويتكون عند التقاء ثلاثة روافد هي **نهر بانياس** القادم من **سوريا ونهر اللدان** القادم من شمالي **فلسطين** ونهر **الحاصباني** القادم من **لبنان** والتي تشكل مجتمعة **نهرالأردن العلوي**.

لوحة الفنان الألماني لوكاس كراناش (1553-1472) "ينبوع الشباب"

فقد ظهر الماء في رسوم الحضارات القديمة، ولم تتغير الرموز التي تشير إلى الماء وهي خطوط متوازية متموجة تنمو حولها النباتات مع خطوط أقصر تمثل قطرات الماء على جانبي النهر.

- ليست رغبة بسيطة يعلم و أساطيرة سهلة، بل معرفة قبلية حقيقية خاضعة لتجارب الطبيعة والتي دفعت بالإنسان أنه ينتمي إلى حدّ النرجسية، وحب الإنسان لصورته الخاصة، وانعكاسها في ماء رقراق، "**إذ يشعر نرجس،أمام الماء الذي يعكس صورته أن جماله ‹‹ مُطَّرِد››** وأنه

غير مكتمل ويجب إكماله"[1]

- **"حين نتعاطف مع مشاهد الماء فنحن دوما جاهزون للتمتع بوظيفته النرجسية، إن الخيال المادي للماء يفهم على الفور العمل الفني الذي يُوحي بهذه الوظيفة"**[2]، وبالرغم من صعوبة هذه الوظيفة النرجسية إلا أن المشهد يتغلب عن الصورة بشكل أو بآخر، ذلك بأن الخيال المادي للماء يفوز بالعمل الفني في قالب هذه الوظيفة، كما أنها تبدو لها عمق معنوي أكثر من المادي.
- **"أغنية النهر ندية و رقراقة، ويتخذ خرير المياه، بالفعل، وبشكل طبيعي تماما، استعارات النداوة والصفاء، حيث تتلاقى المياه الضاحكة، والسواقي الساحرة والشلالات ببهجتها الصاخبة"**[3] ويبدو أن الفن مرتبط بالطبيعة وعنصر (الماء) ارتباطا وثيقا، فهذا النوع من الفن يدعى عند شعراء عدة بـ"الشعر الطفلي"، فتلفظ بقبقتها بهذه النغمة الخاصة ذاتها لـ"حجرة نوم الطفل" والتي تكون فيها نفس الطفل منغلقة بالحروف الصوتية وصعوبة مخرجها، فهكذا تغني السواقي وكأن الطفل والماء أراد أن يُنتجا في اشتراك شيء واحد ولكل واحد منهم يضيف معنى وجمالية تكمل الآخر بنتيجة فنية.
- إتحاد الماء والتراب يعطي العجين: "فعل الماء واضح في الطين، حين يستمر الجبْل، سوف يتمكن العامل من أن ينفذ إلى الطبيعة الخاصة للتراب، للطحين، للجبس، لكنه في بداية عمله يفكر أولا بالماء"[4] بحيث أن عنصر (**الماء**) يقوم بدور تعديل العناصر الأخرى كونه المادة الأساسية من الدرجة الأولى وهو مساعدة الأول، ومنه يُبدع صاحبه فيما يؤول إليه، ويظهر لنا بأن الماء أصل كل شيء.

[1] غاستون باشلار، المادة والأحلام دراسة عن الخيال والمادة، مركز دراسات الوحدة العربية، تقديم أدونيس، ط1، بيروت، 2007، الصفحة 43.
[2] الرجع نفسه، الصفحة 51.
[3] المرجع نفسه، الصفحة 58
[4] المرجع نفسه، الصفحة 157

الفصل الثانى:

الماء : الرمز والدلالات و أشكال الحضور

الفصل الثاني: الماء : الرمز والدلالات وأشكال الحضور

من المعلوم أن موضوعه الماء شكلت باستمرار رمزا شعريا واضحا، بحيث وظفه الشعراء العرب قديما فأصبح عنصر (الماء) موضوعا شيقا في شعرهم، باعتباره مكونا طبيعيا يؤثر في وجدان الشعراء ولا يخلو أي شعر عربي من الماء ورمزيته المتعددة ويُروى وتصورات مختلفة تختلف باختلاف تجربة كل شاعر، فكان حضور الماء في شعرهم عنصراً أساسيا باعتباره مادة أساسية في التأمل الشعري والبوح ومن حسن المعلقات التي تعتبر من أهم عيون الشعر معلقة **"امرئ القيس"**.

فالماء عند **امرئ القيس** ليس مجرد مكون بيولوجي، حيث يعتبر من أهم الشعراء الذين رسموا صورة المطر بكل صورها، كما أن معلقته من أكثر المعلقات ذكرا للمطر وأحاط هذا العنصر فيها بدوره الفعال وحضور واسع ومتنوع، كما أنه حاز على إجتماع الباحثين، ونقاد وشعراء ورواة على أنه أشعر من وصف الغيث، وذلك في حديث **الأصمعي** عن **أبي عمر وبن العلاء المعري**، أنه سأل ذا الرمّة، فقال: "أي الشعراء الذين وصفوا الغيث أشعر؟ فقال: قول **امرئ القيس**"[1]

"دَيمَةٌ هَطلاءُ فيها وَطَفٌ طَبَّقَ الأَرضَ تُجَرّى وَتُدِر"

1- الماء رمز الثورة والإنقلاب:

لم يخلُ الشعر الجاهلي من مفردات الماء وخاصة المعلقات "وربما يكون **لبيد بن ربيعة** من المعلقاتين مع **امرئ القيس**، ذكرا للسوائل والسيول والأمطار والغدران، إذ ورد في معلقته ذكر لمدافع الريّان **ودق الرواعد، الزّها، الغاد المدخن، السيول، السرتي، والكواف** من الديمة، **والتّسجمام والغمام والنهاء**، فكأن **لبيد بن ربيعة**، كان يريد أن يسقي شعره بهذه السواقي كما يحتفظ بالماء، ويترقرق بالجود ويطفح بالغمام... وهي سيرة لعل الذي حمله عليها ما تتطلبه الحياة من الماء الذي هو أصل الحياة، إذ بدونه لا يكون ازدهار ولا نصب، ولا رخاء ولا جمال"[2]

فأعطى الشعراء الجاهليين صورة مختلفة لعنصر الماء في متونهم الشعرية باعتباره شيء مقدس وأنه مادة الحياة والتي خلق منها كل شيء، ذلك ما جعلهم يتأملون بدقة ووضاحة بوصفه في أبهى الصور وفي بعض الأحياء يكون مصدر أمان وفي أحيان أخرى خوف وحذر.

-عندما نربط بين رمزية المطر ولوحة الطلل وخاصة في معلقة **"امرئ القيس"** نجد الصور تختلف بين أمرين متعاكسين يجمعهما شيء واحد، فتارة حزن الشاعر نتيجة لما أحدثه المطر من

[1] أبو بكر محمد بن الحسن بن الدريد الأزدي: وصف المطر والسحاب وما نعته العرب الدواء من البقاع، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق ، 1982 ص 42.

[2] عبد المالك مرتاض، السبع المعلقات تحليل أنثروبولوجي، سيميائي لشعرية نصوصها، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2012 ص 115.

خراب ولم يبقَ إلا الطلل المؤثرة في نفسيته، وتارة أخرى أمل وتفاؤل فيما بعد. يقول **أنور أبو سويلم** في علاقة المطر بالطلل " فالمطر هو المشكلة في الوقفة الطللية هو الذي أنطق الجاهلين يأعذب الشعر، من أجلهم بكوا وتعذبوا وقلقوا، وبسببه مات الطلل وغرقت الديار وعفّت، وبفاعلية انبثقت الصحراء بخيرها... وبحثا عن الماء، هاجرت القبائل وتقطعت الصِّلات، وتمق الحب و قتلت العواطف العواطف... الماء هو الحياة"[1] بمعنى بداية الشعر تكمن في الوقفة الطلالية و غرق الديار يليها التفاؤل مع البحث عن الماء فبه تتجدد روحية الشاعر و وجدانيته.

-كما نجد **"ابن قتيبة"** فسر المقدمة الطلالية تفسيرا دقيقا يقول فيها: "وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد، إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة... ، لا نتقالهم من الماء إلى الماء، وانتجاعهم الكلأ وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحو القلوب، ويصرف إليه الوجوه، ويستدعي به اصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس، لائط القلوب"[2]

-تتضح لنا في معلقة **"امرئ القيس"** تحديدا في المقدمة الطللية مزيجا بين إحساسه ومعاناته وهذا ما ذكره **ابن قتيبة** في تفسير للمقدمة الطللية.

يقول **امرئ القيس** في المقطع الطللية:

قِفَا نَبْكِي من ذِكرَى حبيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقطِ اللِّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوْضِحَ فَالمِقْرَاةِ لم يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

تَــرَى بَــعْرَ الأَرَامِ فِــي عَرَصَاتِـهَا وَقِــيْـعَانِــهَا كَــأَنَّهُ حَــبُّ فُـلْفُــلِ

كَــأَنِّـيْ غَدَاة البَيْنِ يَـوْمَ تَحَـمَّلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَـقُولُونَ لا تَهْلِكْ أَسًى وَتَــجَمَّلِ

وَإِنَّ شِـفَائِـــي عَــبْــرَةٌ مَـهَـراقَـةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ[3]

[1] أنور أبو سليم، المطر في الشعر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1987م ص 143.
[2] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تج، أحمد محمد شاطر، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1988م، ص20.
[3] امرئ القيس، الديوان، ص 9

شملت لوحة الطلل لمرئ القيس إحساسه ومعاناته وهذا ما فرضته عليه الحياة، فعلى الرغم من الدمار والخراب الذي أحدثه المطر إلا أنه مثن الإيجابية في شاعريته، أي تفهم بأنه قلق ومتشائم وفي الآن نفسه عكس ذلك، "صحيح أن هذه المقدمة الطللية تعكس قلقا وجوديا ولكنه ليس ذلك القلق اليائس المتشائم، الذي لا تمثل الأطلال بالنسبة إليه سوى عظام نخِرة، أو أن الحياة قد انحسرت منها فلم تترك لها شيئا سوى (بعد الآرام)، فقد أخذ الشاعر يحاول أن يدفع فكرة عبثية الوجود، وأن يجد ما يجابه به الموت، وما يصحب من فساد في هذه الحياة سواء كان ذلك عن طريق الحلم –أو غيره- فإن الشاعر رفض الاستسلام لهذا الفناء والفساد وجعل من الماضي دعامة تقفز إلى الحاضر وتحل فيه، وأصبح الأدب هو الوسيلة التي يُواجه الشعراء بها الموت بالدخول في تجارب الحياة..."[1]

تمثلت رؤية الشاعر بالتفاؤل مع الصحب وقوفا بها صحبي علي مطيهم، رغم الدمار والخراب الذي أحدثه المطر في المكان (**الطلل**) فهو يتجاوز الواقع المظلم ويتمسك بالأمل وبهذا نخرج بدلالة ورمزية البكاء (**الدمع**) والتي تشكل صورتين مختلفتين من أصل واحد، في نظر الشاعر إحداهما سلبية والأخرى إيجابية.

-فالدمع منبعه ماء العين ودافع لرمزية هم الشاعر أو زرع الأمل ، فبهذا يصبح وسيلة لاستجلاب الحياة، تماما كما هو حال النهر الذي يروي الزرع فيغدو مخضراً"[2]

-توحي رمزية البكاء إلى إشارة الماء، فالدمع في الأساس ما هو إلا أصل خلق الكون، يقول **ابن الأثير** عن أمثال العرب: "ذلك أن العرب لم تضع الأمثال إلاَّ لأسباب أوجبتها، وحوادث اقتضتها، فصار المثل المضروب لأمر من الأمور عندهم كالعلامة التي يعرف بها الشيء، وليس في كلامهم أوجز منها ولا أشد اختصارا"[3]

-ولهذا فإن اقتران فكرة البكاء (**الدمع**) بأساس الخلق لم تكن من فراغ.

كما أن اقتران وجدانية الشاعر قد ترمز إلى نزول الغيث وما يترتب على ذلك من إعادة الحياة إلى الكون.

-أيضا نجد تجسيد صورة المرأة والمطر في معلقته (**امرئ القيس**) بارتباط المادية مع الحسية. وعندما نربط رمزية المطر بالمرأة. فظاهرة المطر من أهم الظواهر الطبيعية وعنصر الماء لا

[1] ثناء أنس الوجود، رمز الماء في الأدب الجاهلي، مكتبة الشباب، تقديم: إبراهيم عبد الرحمان، دط، دت، ص 128.
[2] يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي " الشعر الجاهلي أنموذج"، دار فارس، عمان، ط1، 2004م، ص135.
[3] فايز علي، الرمزية والرومنسية في الشعر العربي، دط، دت، ص128.

يخلو من وجدانية الشاعر " لأن المرأة والمطر شيئان متصلان متحدان في ضميره"[1] ولهذا ارتبط رحيل المرأة بانحباس المطر، ووقفت الشاعر الجاهلي في طلاليته فكلاهما ذات سر واحد غياب المطر والمرأة الراحلة.[2]

-وتأتي صورة أخرى تربط بين الثغر العذب وفكرة المطر بحيث يوحي الشاعر بثغر الحبيبة الباسم إلى نبع للخير المطلق ومصدر لماء الحياة، ولهذا كان الشعراء يعبرون عن رغبتهم في استقبال المطر[3]، بمعنى ارتباط ثغر المرأة بماء المطر يوحي للشاعر بأن كلتا الحالتين يرمز للتجديد وإعادة الحياة.

يقول **امرئ القيس**:

كَدَأبِكَ مِنْ أُمّ الحُوَيْرِثِ قبلها وَجَـــارَتِهَا أُمِّ الــرَّبَابِ بِمَأْسَلِ

إِذَا قَامَتَا تضَوّعَ المِسكُ مِنهُمَا نَسيمَ الصَّبَا جَاءت بِرَيَّا القَرَنْفُلِ

فَفَاضَتْ دُمُوعُ العَيْنِ مِنْ صَبَابَةٍ عَلَى النَّحْرِ حَتّى بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلِي[4]

شكل رمز المرأة في هذه الأبيات دوراً مترابطا مع تجربة الشاعر (**الفقد**) وهذا ما جعله يعيد بناء نفسه من خلال عبوره على محنه. مما جعله يرمز لفكرة الأمومة من خلال الاسمين **أمُّ الحويرث و أُمُّ الرباب،** فالأمومة في الفكر الإنساني تجسد انبثاق الحياة من العدم، كما تؤكد في الوقت ذاته حالة العبور، التجاوز من مرحلة التهدم الحضاري للمكان (**المقطع الطللي**) إلى مرحلة الميلاد، وانبعاث الحياة وتجددها.[5] بمعنى الشاعر صور لنا كلمة الحراثة والربابة بالكسب كما أنه لا يخلو من برط المرأة بالحصوبة والرباب هي السحابة التي قد ركب بعضها بعضاً.[6]

- **مُهَفهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيرَ مُفَاضَةٍ تُراتِبُها مصقولة كالسَّرَنْجَلِ**

نجد في هذا البيت دلالات ورمزيات كلها توحي على الماء، والذي يعبر عن التجدد الذي يبحث عنه **امرئ القيس** ففيه تغدو المرأة رمزا للإشراق والخصوبة كالماء، الذي بفضله يتحقق الإخصاب والتجدد في الحياة.

[1] أنور أبو سليم، المطر في الشعر الجاهلي، ص 143.
[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها 177.
[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها 177.
[4] زوزني، شرح المعلقات السبع، ص10.
[5] يوسف عليمات، النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، ص38.
[6] المرجع نفسه، ص20.

- كما كان للحيوان دورا مهما عند الشعراء بحيث كان مصدر رزقهم وعونهم والوسيلة التي يعتاشون منها، لذلك نجده يشغل حيزا في متونهم الشعرية، تقول **سلامة السويدي**: " أن الشعراء العرب حيث حيث صورة الحيوان، وجسموا معاناته مع الطبيعة المتمثلة في ظاهرة المطر، لم يقصدوا فقط بيان مدى التفاعل بين وجهي الطبيعة المختلفين، ولكن أسقطوا معاناتهم في هذه الحياة ليرمزوا إلى مشاعر كثيرة تجتاح نفوسهم، ربما لم يستطيعوا البوح بها مباشرة لما يتميز به الخلق العربي من الإياد"[1]
- كما ورد حيوان الوحش عند امرئ القيس في مواطن عدة نذكر منها: "السابحات، كَخُذْرُوف، الهاديات، الجزع، صفيف، قدير...إلخ"[2]
- يذكر الشاعر في أبياته دلالات وعلامات تدل القوة والشجاعة مستعينا بهم في فقدانه للسلطة والتي يحاول استعادتها وهذا ما جعله يربط رمز الحيوان بالمطر وبأن السيل والحيوان مشتركان في صفة واحدة في ذاتية الشاعر ألا وهي الحركة والسرعة وشمول الفعل والتي تصنع الأمل وتزرع بذور الحياة.
- يرد **القيس** في أبياته الأخيرة من المعلقة "السيل" الذي يأتي مندفعا والذي يحطم ويجرف كل شيئ أمامه ولا يترك إلا الأشياء الجذرية في الأرض.

يقول:

كَأَنَّ ذُرى رَأْسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً مِنَ السَّيْلِ وَ الغُثَّاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ
كَأَنَّ أباناً فِي أفَانِين ودقه كَبِيرُ أُناسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ
وألقَى بِصحْرَاءِ الغَبيْطِ بَعاعَه نُزولَ اليَمانِي ذِي العِيابِ المحملِ
كَأَنَّ سباعاً فِيهِ غَرقَى غُديّة بِأَرجَائِهِ القُصوى أَنَابيْشُ عَنْصُلِ[3]

شكل الشاعر رمزية السيل في نقله لثورة الواقع ومحاكاته، وبأن فكرة الطوفان التي ينتظرها في جو جماعي **"قعدت له وصحبتي"** في بيت آخر أراح ترى برقاً أريكَ وميضَهُ "متفائلاً بهذا الطوفان آمالاً في تغيير وتجديد واقع آخر.

-فالسيل يحمل دلالات ورمزيات إيجابية، كما أن لحدث الطوفان رمز الثورة والإنقلاب لرحلة العناء التي كابدها الشاعر بالنجاح والفوز وتدل بأنها ثورة تُمحي آثار الدّم بقوة الماء

" كَأَنَّ ذُرى رَأْسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً مِنَ السَّيْلِ وَ الغُثَّاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ"

معتمداً على تأسيس واقع مليء بالحياة والتجديد، وتغرق فيه رواسبه الطللية من خوف وتشرد وخراب بعد إحياء الأمل والأمان"[1]

[1] سلامة السويدي، المطر في الشعر الداهلي حتى نهاية العصر الأموي، ص190.
[2] امرئ القيس، الديوان.
[3] امرئ القيس، الديوان ص

-في عالم الشاعر يرى بأن علاقة عنصر الماء بالحيوان (الفرس) علاقة تفاعلية والمراد منها إنتاج شيء واحد ألا وهو التغيير حسب ثقافة العمل (الدور).

-فكك دور السيل في خاتمة المعلقة قوة وصلابة الجماد (الجبال، الأشجار، القصور المشيدة...)، بتحوله لدمار شامل فحسب المنظور القرائي، تجاوز وتعدي قيم الثبات والعلو تم استبدالها بمنظور آخر حسب عالم الشاعر.[2]

2- الماء رمز للتطهر والصراع:

يظل الماء عنصرا حيويا فعالا ذو دور في غاية الأهمية بالرغم من أنه له عدة دلالات ورمزيات بعضها عكس النافع والتطهر إلا أنه يغلب عليه مفعوله الإيجابي، فلو لم يكن عكس ذلك لما أدى دوره إلى يومنا هذا.

فأرجحت خاصية الماء بين الشعراء، واختلفت من مبدع لآخر في صور مختلفة كل يوحي برمزية وعلامة غير الأخرى ومدلولات متعددة تعكس الوجود الإنساني في العصر القديم (**الجاهلي**) "فاستحضار فعل الماء وقوته التي قد تصنع عالم الموت كما الحياة في تناوب مستمر يعكس جدلية الوجود، وسير مكوناته، حيث لا حركة إلا به، ولا وصولا إلا على طريقه، حتى في أكثر اللحظات حركة ورغبة وإقدام"[3] بمعنى أن المطر في بيئة الشاعر هو سر الحياة وعصبها، ومن الطبيعي أن يتأثر بها كونه فردا من الجماعة، فحضوره يفرحهم وغيابه يحزنهم ويُحدِث لهم أسى، ولهذا تبقى عيونهم على ترقب، وترسم له أجمل المشاهد.

يقول **النابغة الذبياني**:

إلاّ الأواريَّ لأيًا ما أُبَيّنُهَا وَالنُّؤْيُ كَالحَوْضِ بالمَظلومةِ الجَلَدِ
رُدّتْ عَليهِ أقَاصيهِ، وَلَبَّدَهُ ضَرْبُ الوَلِيدةِ بالمِسْحاةِ في الثَّأَدِ
خَلَّت سَبيلَ أتيٍّ كانَ يحبسُه وَرفَّعتْهُ إلى السَّجْفينِ فـــــالنَّضَدِ[4]

تتجسد صورة الماء في جدلية مستمرة ، مرة يمثل الموت، ومرة أخرى يصنع عالم الحياة، إذ بين الشاعر ذلك في أبياته، أن القوم الذين كانوا يضبطون التراب حول الخيمة تركو مكاناً للماء، والمظلومة أي الحوض التي توضع في الأرض المحفورة فسماها **بمظلومة الجلد**، بعد أن كان الحاجز الترابي يمنعه من المرور ويحبسه.

وكما هو معروف بأن السيل عندما يأتي من بلد لبلد أو من منطقة لأخرى يجرف معه كل ما كان في طريقه، وكل أثر تركه يبقى أثره، كذلك يرمز الشاعر لهذه الصورة المستوحاة من

---

[1] عليمات يوسف محمود، النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي ص63.
[2] المرجع نفسه ص64.
[3] حسن مسكين، الخطاب الشعري الجاهلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2005، ص47.
[4] النابغة الذيبياني، الديوان، تح أبو الفضل الإبراهيم، دار المعارف، القاهرة،1991، ص15.

عالمه، " **خَلَّت سَبيلَ أتيّ**" ، ويعني بهذا جرف المكان ونحت ما فيه من مدر وغير ذلك بغرض امتناع الماء من العبور فيفسد تراب النُّؤى الذي حوله.[1]

- يكون الشاعر أحيانا في لحظات تأمله أن الماء غيابه يُبكي وحضوره يُبهج فبين الأول والثاني تحضر صورة أخرى تمتزج فيها تجربته والتي يستحضر بها المناظر التي عرفها كما أنها تختلف من شاعر لآخر.
- نجد في مُعلقة **النابغة** ما يدل على ذلك:

سَرَت عَلَيهِ مِنَ الجَوزاءِ ســـــارِيَةٌ تُزجي الشَمالُ عَلَيهِ جامِدَ البَرَدِ
فَارتاعَ مِن صَوتِ كَلّابٍ فَباتَ لَهُ طَوعَ الشَوامِتِ مِن خَوفٍ وَمِن صَرَدِ
فَبَتَّهُنَّ عَـــــلَيهِ وَاِستَمَرَّ بِـــهِ صُمعُ الكُعوبِ بَريئاتٌ مِنَ الحَرَدِ[2]

يصف الشاعر السحابة التي تسير ليلا وتمطر من الجوزاء سارية، أراد بها تلك التي تأتي بها ريح شديدة، وخص الجوزاء تحديدا لأن نوءها كذلك، **تُزجِي الشمالُ** بمعنى تسوق وتدفع على الثور مطراً فيه برد جامد.

وهو الذي صُلب منه وجمد، كما أن الشاعر خص بالشمال لشدة البرد، فيصف حالة الثور ومبيته في سوء، وتدل هذه الصورة على صراع قائم.[3]

فارتاع الثور بالأصوات المحاطة به (**الكلاب**) وهو الصائد ذو الكلاب، وتشكلت لنا صورة الثور ومخافه من عدة جهات، فبات في برد وجوع، وأراد بالشوامت طوعا أي بات قائما، كما أن صورة الثور أخذت حيزا كبيرا في معلقة النابغة وإن دلّ ذلك على شيء فيدل على رمزه لعلاقة وطيدة وارتباط وثيق بالمطر.[4]

- ومن المعروف أن العرب كانوا يستسقون بالثور إذا انقطع الماء، "فالشيء الواضح هو هذه العلاقة بين الثور والمطر، وهي علاقة قديمة، إذ يُمثل هذا الحيوان قوة تتحكم في السحب وتنزل المطر، وما عادة استسقائهم بالبقر إلا من مخلفات عبادة الثور، وما يرمز إليه من الخصب والإرواء "[5] بمعنى أن لطقوس التي تقام عند العرب قديما للثور المقدس وقد يُعتبر إله المطر عندهم علامة ترمز إما لخصب ونماء أو لقحط وجفاف.

---

[1] المرجع نفسه، ص15.
[2] النابغة الذبياني، الديوان، ص18
[3] المرجع نفسه، ص
[4] المرجع السابق، ص18.
[5] زكرياء عبد المجيد النوتي، ثور الوحش –بين النابغة وذي الرمة- ، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، ط1، 2004، ص15.

- كما يبدوا لنا بأن هذه العلاقة هي التي جعلتهم يختارون البقر، دون سواء من الحيوانات الأخرى، كما أن علاقة البرق والبقر تمثلان صورة في نظر العرب قديما إنعكاس للبيئة والطقس والنفسية...
- تزيد محنة الثور عند سماع صوت الرعد الشديد الصخب، والبرق والرياح العاتية التي تصفعه على وجهه وأوراق الشجر اليابسة، ثم الأمطار الغزيرة والتي فجأة تتحول إلى سيول جارفة تكاد تحفر الأرض،[1] فكل هذه الصعاب يمر بها الثور مُعتمدا على جماد يأويه حتى مرور العاصفة فيبيت على حاله باحثا عن ملاذ يقيه هذا الشر ولم يجد ذلك إلا في شجرة **الأرصلى**[2] فينزل ضيفا عندها.
- "لم يكتفِ الثور بأن يقف تحت الشجرة، وإنما يأخذ في حفر الأرض تحتها لبقي نفسه من الشر تماما، فيحفر ليقيم كناساَ ويجد وينشط في الحفر"[3] وصف النابغة حالة الثور وهو يلجأ تحت شجرة من شدة وقوة الأمطار والرعد والبرق فالصراع بين الإثنين يرمز إلى الخلاص من قدر الموت والهلاك، وفي أبيات لامرئ القيس تعكس حالة الثور تماما وهو يقول:

يَهِيلُ وَيَذْرِي تَرْبَهَا وَيُثِيرُهُ إِثَارَة نَبَّاثِ الهَوَاجِرِ مُخْمِسِ

فَبَاتَ عَلى خَدٍّ أَحَمَّ وَمَنْكِبٍ وَضِجْعَتُهُ مِثْلُ الأَسِيرِ المُكَرْدَسِ[4]

- تشتد الأزمة بنزول المطر شيئا فشيئاً مع ليل طويل وظلام لِيُبتلى الثور ويتورط، فهذه الأبيات تمثلت في لسان حال الثور وكأنه يناشد الليل مع الشاعر فتعد التجربة واحدة ودور واحد وشعور واحد.
- ولكل حال انفراج بعد شدة ويتحقق الأمل، فتنقشع الغيوم، وتقلع السماء، ويتنفس الصبح مع إشراق الشمس، وتعود حياة كل من الثور والقيس طبيعية بعد شدٍّ و كَرَبٍ وصراعٍ مع الحياة والطبيعة.

وفي مشهد آخر نجد **عبيد ابن الأبرص** يشكل صورة لعنصر الماء ويظهر في حالة أخرى، فكما رأينا سابقا أن المطر يحدث هلع في حياة الإنسان والحيوان كذلك قد يكون أحيانا مصدر سعادة اطمئنانٍ.

يقول **الأبرص**:

دعوت أبا المغوار في الجفر دعوة فما آض صوتي بالذي كنت داعيا

---

[1] المرجع السابق، ص13.
[2] شجر ينبت بالرمل، شبيه بالعصا، ينبت عصيا من أصل واحد، يطول قدر قامة، وله نور من نور الخلاف ورائحته طيبة.
[3] المرجع نفسه، ص19.
[4] امرئ القيس، الديوان، ص24

أظن أبا المغوار في قعر مظلم تجر عليه الذاريات السوافيا[1]

-فالماء في هاته الأبيات يختلف لصورة مغايرة عن الأخرى، فيظهر هنا الشاعر أن الماء في البئر ملجأ وملاذ للإنتظار والترقب، كما هو حال الغالب لا يمكن معرفة أمواله ومآله، إلا من خلال سماع صوت معين والذي يوحي لهم بتنبهم ويعرفون إلى أي مدى يدل على ذلك الصوت (فرح، حزن عن مفقود...) أو قد يكون العكس بالنسبة إليهم، وبالتالي فهم بحاجة إلى الإعتقاد بقدسية البئر ومائه.[2] فيعتمدون على ماء البئر كونه المنفذ في معرفة أحوال غائبهم والتنبؤ بأخبارهم من خلال سماع أصواتٍ من جوفِ البئر، وبهذا يبقى الماء في صراع بين الحياة والموت، والتي يمثلها الشاعر الجاهلي في قصائده.

-وفي موضع آخر نجد "**طرفة بن العبد**" باختلاف نظره لعنصر الماء بحيث يقول:

وَإنّا إذا ما الغَيمُ أَمسى كَأَنَّهُ سَماحيقُ ثَربٍ وَهيَ حَمراءَ حَرجَفُ

وَجاءَت بِصُرّادٍ كَأَنَّ صَقيعَه خِلالَ البُيوتِ وَالمَنازِلِ كُرسُفُ

وَجاءَ قَريعُ الشَولِ يَرقُصُ قَبلَها إلى الدِفءِ وَالراعي لَها مُتَحَرِّفُ

نَرُدُّ العِشارَ المُنقِياتِ شَظيُّها إلى الحَيِّ حَتّى يُمرِعَ المُتَصَيَّفُ

-يتكرر في هذا الموضع الحديث عن ريح الشمال، والصُّراد ونوء المطر والبرد والرياح ذات البروق وغالبا ما يتعمق عنصر الماء (**المطر**) ويأخذ حيزا كبيرا في قصائدهم.

فيرمز طرفه في هاته الأبيات إلى ذلك الغريب الذي يأتيهم ضائعا في حالهِ لا مأوى ولا ملجأ له غير ذلك أن السماء تَبُله فتزداد حالهُ سوءاً.

-فالشاعر هنا وقف مندهشا من السحاب في صورة وصفٍ فتخيل حالة الغيم بأنها سماحيق أي شحم رقيق على ثرب الشاة وهذا الترب هو الذي يغطي الأمعاء، شديد وكثيف ككثافة السحاب، وجاء قريع الشول يرقص قبلها، أي بمعنى وصفه للإبل التي تحرف الراعي فمال على نفسه من شدة البرد، والسحاب الذي لا ماء، يشكل صقيع أي الماء المجمد من شدة البرد."[3]

ويمكن القول بأن الحديث عن المطر لا يتضح تماما في القصيدة الجاهلية إلا عندما تدرس قصة المرأة أو الثور الوحش، والطبيعة كي تدلنا عن الرموز الدالة عليها وذلك بأن هذه العناصر معروف بأنها رموز للمطر.

---

[1] امرئ القيس، الديوان، ص24.

[2] عزيز العرباوي، رمزية الماء في التراث الشعري العربي، ص36.

[3] المرجع السابق، ص131.

الـخـاتـمـة

وفي الأخير قد توصلنا بعد دراستنا لرمزية الماء وطقوس الارتواء في الشعر العربي القديم (الجاهلي) إلى طبيعية وحتمية نوردها كالتالي:

- قدم الشعراء رموزا ودلالات مختلفة لعنصر الماء وتمثلاته سواء واقعية أم خيالية كانت في طبيعة الحياة الجاهلية، لما يشكله وجوده من أهمية ودور فعال لسكان البيئة (**البادية**)، إذ أصبح وجوده حتميا لمعرفة كيفية استمرار الحياة وديمومتها.
- لم يكن توظيف الماء ومفرداته من قبل الشعراء الجاهليين من فراغ وعدم، إنما لدافع جاء لبناء تمثلاته في الطبيعة وما يناسبها كما هو الحال عند امرئ القيس والذي ربط الماء في عدة حالات.

- استمد الشعراء رموزهم الشعرية من واقعهم المعاش، بما يتمثل به من أحداث وظواهر طبيعية محاولين التعبير عنها بلغتهم الوصفية محاورين دواتهم مرة، وواصفين بها تخيُّلاتهم تجاه الحياة والواقع مرة أخرى.
- عمد الشعراء في المعلقات لذكرهم الماء على أنه يكون توظيفه ومفرداته المتعددة ضمن قصائدهم، فلم يرد من أشعارهم وجعلوه عنصرا مهما ذو نسيج بين الخيال والواقع مع تعدد صوره الشعرية واختلافها.
- لجأ الشعراء إلى خاصية التغيير والتجديد كونه عنصرا فعالاً مرتبطا بأساس الخلق (**الماء**) بحيث اعتمدول على مخاطبة دواتهم وكما توضح لنا في أشكال متعددة فمنهم من أسن الأطلال والحيوان والمرأة متخذاً منها مخاطبا، فتجلت ذواتهم في محاكاة الواقع عبر حوارات شعرية.
- كان للبيئة أثرها الفعال والواضح في نفسية الشاعر الجاهلي مما انعكس في شعره وصفاً لمظاهره الواقعية والمتخيلة، فجاء وصف الشعراء متنوعا بتنوع مواقفهم وهذا ما جعل من عنصر الماء عدة مواضع في أشعارهم، وما يتمثل فيها من مظاهر متعددة.
- -تبوأ الماء أحد أهم عناصر الحياة، وكانت له مكانة مرموقة عند الشعراء في بناء قصائدهم فهو قد هيء لهم الفرصة المناسبة لوصف ما يتركه زهم تصوروا له برمزيات كثيرة، هذا ما جعل نفسية الإنسان الجاهلي عامة والشاعر خاصة عبر تمثلاته الفاعلة في المحيط والبيئة الصحراوية، والتي ما برح الشاعر متنقلا بين أرجاءها بحثا عن الحياة.
- وفي الأخير نرجوا أن نكون قد بلغنا ولو الحد الأدنى من هدفنا في إثراء هذا الموضوع والإلمام بأهم جوانبه، وخير ختام الصلاة والسلام على خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الـفـهـرس

قائمة المحتويات	رقم الصفحة
الشكر و العرفان	
إهداء	
مقدمة	أ – ب-ت
الفصل الأول: ذاكرة الماء حضارات وأساطير ونصوص.	
1-الماء والأساطير/علل الكون وأسرار الإنبثاق.	14-12
2-الماء في أدبيات الأديان.	15-14
2-1: الماء في أدبيات اليهودية.	16-15
2-2: الماء في أدبيات المسيحية.	17-16
2-3: الماء في أدبيات الإسلام.	18-17
3-الماء في أدبيات الفن.	21-19
الفصل الثاني: الماء: الرمز والدلالات وأشكال الحضور.	
1-الماء رمز الثورة والإنقلاب.	30-23
2-الماء رمز التطور والصراع.	35-30
الخاتمة	38-37
الفهرس	39
مكتبة البحث	43-41
ملخص	

مكتبة
البحث

1-القرآن الكريم:

-القرن الكريم

2-المصادر والمراجع:

https://diffah.alaraby.co.uk/diffah/arts/2020/9/28/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%A1-%D8%B9%D9%86%D8%B5%D8%B1%D8%A7-%D9%85%D9%82%D8%AF%D8%B3%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86%D9%88%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B7%D9%8A%D8%B1#:~:text=%D8%A8%D8%B3%D8%A8%D8%A8%20%D8%A3%D9%87%D9%85%D9%8A%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A7%D9%87,%D9%82%D8%AF%D8%B3%D8%AA%20%D9%86%D9%87%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%8A%D9%84%D8%8C 2024-10-26.

- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تج، أحمد محمد شاطر، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1988م، ص20.

- أبو بكر محمد بن الحسن بن الدريد الأزدي: وصف المطر والسحاب وما نعته العرب الدواء من البقاع، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق ، 1982 ص 42.

- أسماء عبد الرحمان عبد الرحيم أحمد، أساطير حول الماء وأساطيله (دراسة مثيولوجية في الحكايات الشعبية)، العدد24، الجزء 11، 220م، الصفحة 11125.

- الترميذا علاء النمشي، أسطورة الماء في الأديان، فكرا وطقسا. https://www.mandaeanunion.org/ar/history/item/268-legend-of-the-water-in-the-religion,-thought-and-ritual 2024-10-26.

- النابغة الذيبياني، الديوان، تح أبو الفضل الإبراهيم، دار المعارف، القاهرة،1991، ص15.

- امرؤ القيس، الديوان، القسم الأول، رواية الأصمعي من نسخة الأعلم، (ط-ذ) ، (د-ت) ص 24-25.

- أنور أبو سليم، المطر في الشعر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1987م ص 143.

- ثناء أنس الوجود، رمز الماء في الأدب الجاهلي، مكتبة الشباب، تقديم: إبراهيم عبد الرحمان، دط، دت، ص 128.

- حسن مسكين، الخطاب الشعري الجاهلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2005، ص47.

- د.أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، رفع عبد الرحمان النجدي، ط1، دار عمار للنشر و التوزيع، 1987، الصفحة 179.

- ديوان عنترة، شرح التبريزي، الصفحة 157.

- زكرياء عبد المجيد النوتي، ثور الوحش –بين النابغة وذي الرمة- ، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، ط1، 2004، ص15.

- زوزني، شرح المعلقات السبع، ص10.

- سلامة السويدي، المطر في الشعر الداهلي حتى نهاية العصر الأموي، ص190.

- شجر ينبت بالرمل، شبيه بالعصا، ينبت عصيا من أصل واحد، يطول قدر قامة، وله نور من نور الخلاف ورائحته طيبة.

- طرفة بن العبد، الديوان، تح، درية الخطيب، ط2،بيروت، 2000ص 68.

- عبد المالك مرتاض، السبع المعلقات تحليل أنثروبولوجي، سيميائي لشعرية نصوصها، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2012 ص 115.

- عزيز العرباوي، رمزية الماء في التراث الشعري العربي، ص36.

- عليمات يوسف محمود، النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي ص63.

- عيسى عيساوي، طقوس الماء عند الأمم القديمة مقارنة إناسية، المدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة، الجزائر، مجلة منتدى الأستاذ، ع15، (جانفي 2015) الصفحة 169.

- غاستون باشلار، المادة والأحلام دراسة عن الخيال والمادة، مركز دراسات الوحدة العربية، تقديم أدونيس، ط1، بيروت، 2007، الصفحة 43.

- فايز علي، الرمزية والرومنسية في الشعر العربي، دط، دت، ص128.

- يوسف عليمات، النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، ص38.

- يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي " الشعر الجاهلي أنموذج"، دار فارس، عمان، ط1، 2004م، ص135.

-ديوان عروة بن الورد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، الصفحة 37.

ملخص:

هذه الدراسة الموسومة بـ: رمزيات الماء وطقوس الارتواء في الشعر الجاهلي - دراسة في نماذج مختارة. تحاول أن تجيب على سؤال أساسي هو: كيف فكر الشاعر العربي القديم في الماء؟ وفي سبيل الإجابة عن هذا السؤال تفترض الدراسة أن توظيف الشاعر للماء هو توظيف رمزي بالدرجة الأولى. وقد امتد البحث في سبيل كشف ذلك على مساحة فصلين تناول الأول حضور الماء في الأساطير والأديان وتناول الثاني رمزيات الماء في نصوص شعرية مختارة.

Summary:

This study is titled: Water symbols and quenching rituals in pre-Islamic poetry - a study of selected models. We are trying to answer a basic question: How did the ancient Arab poet think about water? In order to answer this question, the study assumes that the poet's use of water is primarily symbolic. The research to uncover this extended over two chapters. The first dealt with the presence of water in myths and religions. The second dealt with the symbolism of water in selected poetic texts.